أضواء على
حديث المعرفة بالنورانية

٢٠٢٥ — ١٤٤٦

زمزم منصور القطان

أضواء على

حديث المعرفة بالنورانية

إعداد

زمزم منصور القطان

موقع الأوحد

Awhad.com

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام، وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصّر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب»، ثم قال عليه السلام: «معرفتي بالنورانية معرفة الله عزّوجل، ومعرفة الله عزّ وجل معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى في سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾».

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

نحن نُسلّم أن معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ممتنعة لا يوجد أحد يعرف ذات الله سبحانه (فالطريق مسدود والطلب مردود) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام حتى أحب الخلق لله وهو محمد وآل محمد لا يعرفون ذات الله سبحانه ولكن معرفتهم لله سبحانه بصفاته وأسمائه، فهو المجهول المطلق، لا يُعرف إلاّ بالجهل به، لعدم وجود مناسبة بين الحق والخلق مطلقاً قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1]، لم يكن للخلق طريق إلى معرفة الحق، كما قال الإمام السجاد عليه السلام في مناجاة العارفين: «**ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك**»، وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم**»، فعقولنا معطلة عن معرفة الذات كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: «**ما عرفناك حق معرفتك**»، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في دعاء الصباح: «**يا من دلّ على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته**».

---

(١) سورة طه: آية ١١٠.

كذلك بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام لا يمكن إدراك حقيقتهم وذاتهم لأنهم هم المثل الأعلى ﴿ولله المثل الأعلى﴾ مثل الله الذي ضربه لنا ليُعرفنا به هم محمد وآل محمد، أظهر شيء من مظاهرهم ومقاماتهم، علماً هناك مقامات وعلامات ومراتب كثيرة لم يظهرها الله تبارك وتعالى، فقد ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة حيث يقول الزائر وهو يخاطب المعصوم عليه السلام: «**مواليَّ لا أُحصي ثنائكم ولا أبلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم وأنتم نور الأخيار..**»، إذن لا يمكن معرفة كنههم صلوات الله عليهم جميعاً والذي عبّر عنه بالمعرفة الغيبية، إنما نحاول معرفتهم بما عرفونا به، خصوصاً من المعارف النورانية.

فقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث طويل أنه قال لسلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري رضي الله عنهما: «**أنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصّر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب**»[1].

وقد فسّر الإمام هذه المعرفة بقوله: «**معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل، ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾**[2]، **وهو الإخلاص**».

(١) بحار الأنوار ج١، ص٢٦.

(٢) سورة البينة: ٥.

في بحثنا هذا (أضواء على حديث المعرفة بالنورانية) سوف نتناول فيه عدة مواضيع تشمل:

١- معرفة معنى الإمامة.

٢- من هو الإمام؟

٣- ثلاثة أنواع من المعرفة.

٤- إثبات أفضلية أمير المؤمنين علي عليه السلام على جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الملائكة ما خلا رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥- قراءة سريعة للحديث المعرفة النورانية.

٦- القراءة التدبرية التأملية في بعض فقرات هذا الحديث.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لمعرفة أهل البيت عليهم السلام المعرفة بالنورانية.

معرفة معنى الإمامة

في الحقيقة إنّ الإمامة هي من أصول الدين عامة وبالخصوص من أصول الإيمان، وهي الخلافة الإلهية، أي إدارة الشؤون الكونية، والأمور الشرعية بإذن الله تبارك وتعالى، وإمداده المتواصل، وهي تالية النبوة الحاملة لتلك الشؤون والأمور.

وإذا أردنا أن نفهم معنى الإمامة بالمعنى الصحيح لها نتأمل كلمات المعصوم صلوات الله وسلامه عليه فيها، حيث قال: «**إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله عز وجل وخلافة الرسول، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام**».

فالإمامة في مقام النبوة، فجميع أحكام الله التي أوحاها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عندهم، فهم صلوات الله عليهم، حفظته من حكم وعلم وفهم وذكر وفكر وغير ذلك. فهم صلوات الله عليهم صفات الله وأسماؤه وآلاؤه ونعمه ورحمته الواسعة، فبوجود الإمام تثبت الأرض والسماء، وهو نظام الكون والشرع وحافظ الدين عن التغيير، كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: «**بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع إلاّ بإذنه**» إلى أن قال: « **بموالاتكم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا**»[1]، وبالإمامة إكمال الدين، وإتمام النعمة.

(١) مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة.

من هو الإمام؟

فالإمـام هـو الذي يحل محل النبـي كخليفة له، ووجـوده ضرورة تحكمهـا قاعدة اللطف الإلهي، وهـو وليّ الله المطلق وحجته الكبرى، وآيته العظمى، والعـروة الوثقى، والوسيلة الوحيدة، وسفينة النجاة، وميزان العدل والهدى.. والإمام معصوم كالنبي ﷺ لا يهم بمعصية، ولا بمكـروه، لا يـترك واجبـاً ولا مستحبـاً، بـل لا يـترك الأرجح من الأقوال والأفعال، ولا يترك الأولى لأن الله خلقه من نور عظمته، وهو خليفته، وخليفة رسوله، وعلّمه علماً محيطاً على ما سواه، فأحاط بما سـوى الله، وعلم بحقّ اليقين، ولا يعمل إلا بما يرضي الله، فالعصمة فطرتـه، فهـو شبيهاً للنبي الأعظـم ﷺ إلاّ أنه ليس نبيّ، «**عصـمكم الله مـن الزّلـل، وآمنكـم من الفـتن، وطهركم من الدّنس، وأذهب عنكم الرّجس أهل البيت وطهركم تطهيراً**». فصفات الإمام عليه السلام هي صفات الأنبياء من أنهم معصومون من الخطأ والزلل، ويتصفون بالشجاعة والصبر والكرم والحِلم والعِلم ما عدا النبوة.

خلاصة الكلام يجـب أن يعتقد أنّ الإمامة حقّ كما يجب الاعتقاد بـأنّ النبوة حقّ، وأنّ الله عز وجل الذي جعل النبي ﷺ نبياً هو الذي جعل الإمام إماماً.

قـال الله تعـالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]، إنّ الإمامـة أفضـل وأشـرف وأسمى وأعلى مرتبة من النبوة.

---

(١) سورة المائدة: آية ٦٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أهمية البحث في موضوع المعرفة النورانية؟ ولماذا التركيز على هذه المعرفة؟ وما هي الأهمية على أن يكون الإنسان عارفاً بأهل البيت عليهم السلام بالمعرفة بالنورانية؟

تتضح هذه الأسئلة بعد بيان مجموعة من المقدمات حتى نصل إلى النتيجة:

• **المقدمة الأولى:**

١- ما هي العلة من خلق الخلق؟

البعض يرى وجودنا في هذا العالم صدفة والبعض قال خُلقنا عبثاً والله يقول في سورة المؤمنون: ١١٥، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، وقسم آخر من الناس يعتقد أن الله خلقنا لأنه محتاج إلينا، وهذا ليس صحيح لأن الخالق لا يكون محتاجاً لأحد، بل هو الغني المطلق والكل يحتاج إليه. وإنما أوجدهم لغاية وحكمة ولا شك إنهما راجعتان إليهم لا إليه تعالى لأنه غني في حدّ ذاته وكامل في صفاته لأن الاحتياج نقص وهو منزه عنه.

<u>والجواب على هذا السؤال:</u> إن سبب خلقنا هو لثلاث غايات وهي:

١- <u>الغاية الأولى:</u> حتى يوصلهم إلى السعادة الأبدية وإلى الجنة. وهذا لا يكون إلاّ باستحقاق.

٢- **الغاية الثانية:** التي يتحقق من خلالها الحكمة من وصولنا إلى ذلك المقام العالي هي العبادة التي هي طريق التقرب إلى الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

٣- **الغاية الثالثة:** والمهمة التي لا تكون العبادة إلاّ بها هي المعرفة لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أول الدين معرفته، فمن لا يعرف لا يمكن له العبادة**». إذن الهدف من خلق الإنسان هي العبادة المترتبة على معرفته والإمام الحسين عليه السلام أوضح ذلك عندما خرج يوماً مع أصحابه قال لهم: «**أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق الخلق إلاّ ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه**»، وليس المقصود هنا معرفة الذات (الطريق مسدود والطلب مردود) فمعرفة ذات الله سبحانه محال عقلاً ونقلاً قوله تعالى في سورة طه: الآية ١١٠، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، لأنه لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار لعدم وجود مناسبة بين المدرِك والمدرَك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1].

والإمام السجاد عليه السلام يقول في مناجاة العارفين: «**ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك**»، فمعرفتنا عنه سبحانه وجوده، أي نعلم باليقين بأن للعالم موجد صاحب ومستجمع للصفات الكمالية.

---

(١) سورة الشورى: آية ١١.

• **المقدمة الثانية:**

والقرآن الكريم يدعو إلى طرق متعددة للوصول إلى التعرف عليه.

ويمكن تقسيم الطرق إلى طريقين أساسيين:

أولاً: الطريق الأول: يعتمد على الفطرة، وهي الفطرة المشار إليها في الآية ٣٠ من سورة الروم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، وهذه الفطرة تؤثر عليها مؤثرات خارجية وداخلية، تجتمع فتكون رين على القلب والفطرة فلا يستطيع الإنسان الوصول إلى الحقيقة.

ثانياً: عند ذلك يأتي دور الأدلة والبراهين في الآية ٥٣ من سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾، لتنبيه النفس وتوجيهها بأنها عالمة بالتوحيد، وهذا هو الطريق الثاني لمعرفة الله سبحانه، عن طريق الآثار والآيات المخلوقة من الآفاق والأنفس، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**دليله آياته ووجوده اثباته**»، فالآيات والآثار المطروحة على مسرح الكون كلها تجليات وتعرفات الحق سبحانه لنفسها لا بذاته.

• **المقدمة الثالثة:**

وإذا سألنا أنفسنا كيف نعرف الله عزّ وجل عن طريق الآثار والآفاق والأنفس؟

الجواب: أن هناك ثلاث طرق لمعرفة الله عزّ وجل الآثارية وهي:

١- معرفة الكتاب التكويني وهو بدوره عبارة عن:

(أ) العالم الأنفسي (الإنسان).

(ب) العالم الآفاقي (الكون الفسيح).

٢- معرفة الكتاب التدويني (القرآن الكريم).

٣- معرفة الكتاب الناطق (أهل العصمة والطهارة) وهي أعظم الطرق وأجودها لمعرفة الله سبحانه وتعالى.

- **المقدمة الرابعة:**

ومعرفتنا لأهل الطهارة تكون:

(أ) نتعرّف على هؤلاء الذين جعلهم الله مُعرِّفين له.

(ب) أن نعرف كيف عرّفونا لله تعالى.

- **المقدمة الخامسة:**

هي معرفة المُعرَّف (أهل البيت عليهم السلام) والمَعرف (الله) لذلك قال الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة: «**من أراد الله بدأ بكم**».

هناك ثلاث طرق رئيسية لمعرفة أهل البيت عليهم السلام:

(أ) المعرفة الظاهرية.

(ب) المعرفة الغيبية.

(ج) المعرفة النورانية.

أولاً: المعرفة الظاهرية:

(أ) هي أدنى أنواع المعرفة وقد بيّنتها عليها السلام في خطبتها الفدكية عندما قالت: (**اعلموا إني فاطمه**) هذا فعل أمر للجميع أن يعرفونها بالمعرفة الظاهرية.

وهي أن يعرف الإنسان إمام زمانه معصوم قوله تعالى في سورة الأحزاب:٣٢ ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما**».

(ب) إنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله والوصي قوله تعالى في سورة المائدة: ٦٧ ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

(ج) وأنه مفترض الطاعة قوله تعالى في سورة النساء: ٥٩، ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

(د) وأنه في كل زمان لا بُد من وجود إمام يأتموا به الناس وهذا ما أكدته روايات أهل البيت عليهم السلام: «**لولا الحجة لساخت الأرض بما فيها**».

ثانياً: المعرفة الغيبية:

هذه المرتبة من معرفة الإمام المعصوم عليه السلام لا يمكن لأحد أن يصل إليها وهي المعرفة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي ما عرفك إلاّ الله وأنا، وما عرف الله إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت**».

علماً لا يقصد معرفة ذات الله، فالطريق مسدود والطلب مردود، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، يعني جميع الخلق لا يعرفون كنهه حتى الأئمة عليهم السلام لا يعرفون كنه جدهم وأبيهم، مع أنهم ورثوا جميع ما وصل إلى محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، لأن الرسول صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين عليه السلام هما أصلهما وهم (الأئمة) فروع، والفرع لا يجتمع مع الأصل ليعرفه به، لأن الأصل في المقام الأول والفرع في المقام الثاني فلا يعرفه بالكنه وإنما يعرفه بالصفة فقوله عليه السلام: «**لا يعرفك إلا الله وأنا**» يعني معرفة بالكنه لأنه في مقام الأصل ولا يعرفه بالكنه إلاّ من كان في مقامه.

ثالثاً: المعرفة بالنورانية:

وهذه المعرفة هي أرقى من المعرفة الظاهرية، لأن بهذه المعرفة يستكمل الإنسان الإيمان وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بحديث المعرفة بالنورانية عندما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره**

للإسلام، وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصّر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب»، ثم قال عليه السلام: «معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل، ومعرفة الله عزّ وجل معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى في سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾»، هذه المعرفة تجعل المؤمن متكامل ويصل إلى درجات عُليا كما وصل سلمان المحمدي إلى الدرجة العاشرة من الإيمان حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: «سلمان منّا أهل البيت».

أما أبا ذر وصل إلى الدرجة التاسعة من الإيمان، والمقداد إلى الدرجة الثامنة من الإيمان، وكميل النخعي وصل إلى الدرجة السابعة من الإيمان وهكذا.

- إذن من حديث النورانية نستنتج أنه من عرف الإمام بالنورانية حصل على أنه امتحن الله قلبه للإيمان أولاً، وشرح قلبه للإسلام ثانياً، وصار عارفاً، مستبصراً. فمن أراد أن يصل إلى هذه المرتبة لا بد أن يتعرف على الإمام بهذه المعرفة وهي المعرفة بالنورانية.

علماً هذه المعرفة ليست مقتصرة على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقط بل تشمل جميع الأئمة سلام الله عليهم، وخير مثال السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام فهي من ضمن الأئمة التي تشملها ثلاث أنواع من المعرفة.

ثلاثة أنواع من المعرفة للإمام

١- هنـاك أربـع مصاديـق لانطبـاق **المعرفة الظاهريـة** للإمام المعصوم عليه السلام:

- **أول مصـداق:** هـو معرفـة اسمـه وصفاته وسيرتـه، على الأقل يعرف المؤمن أسماء أئمته لأنه سيُسأل عنهم في قبره وفي البرزخ.

- **ثـاني مصـداق:** أن يعـرف مواليدهم ووفياتهـم كما ورد عنهم عليهم السلام «**شـيعتنا منّـا خلقوا من فاضـل طينتنـا وعجنوا بمـاء ولايتنا، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا**».

- **ثالـث مصـداق:** لا بـد علـى الإنسـان أن يطّلـع علـى سيرتهـم وأخلاقهم وتصرفاتهم حتى يتبعهم.

- **رابـع مصـداق:** أخذ الأحكام الشرعيـة منهم عليهم السلام وهذا ما تكفّل به مراجعنا وعلماؤنا حيث ألفوا الرسائل العملية من خلال استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الأربعة ومن روايات الأئمة عليهم السلام.

٢- **أمـا المعرفـة الغيبيـة:** فلا يمكن لأي أحـد أن يعرفها كما أشار إليه الإمام المعصوم عليه السلام: «**إنما سميت جدتنا فاطمة بفاطمة لأن الخلـق فطمـوا عن معرفتها**». لا أحد يعـرف ولا يدرك كُنه الزهراء عليها السلام كمـا لا أحد يعرف كنه أبيها وكنـه بعلها أمير المؤمنين عليه السلام ولا أولادها عليهم السلام.

وقد ورد في الحديث: «**لو لم يُخلق أمير المؤمنين عليه السلام لما كان لفاطمة كفؤ من آدم فما دونه**».

٣- **أما المعرفة بالنورانية:** هي المعرفة التي أشار إليها الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة حجة الله علينا**»، وفي رواية أخرى: «**وعلى معرفتها دارت القرون الأولى**» أي المعرفة النورانية دارت القرون الأولى من الأنبياء والمرسلين ولم يُنبأ لأحد من الأنبياء إلاّ بمعرفة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ومعرفة بعلها أمير المؤمنين عليه السلام.

وهناك أحاديث أخرى مثل حديث الخيط الأصفر، وزيارة الجامعة الكبيرة للإمام الهادي عليه السلام يُبين لنا بعض المقامات والفضائل لأهل البيت عليهم السلام.

- إثبات أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الملائكة ما خلا رسول الله صلى الله عليه وآله.

والروايات هي:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**عليّ خير البشر فمن أبى كفر**» وهذا دليل على أن علي عليه السلام أفضل من جميع البشر.

في الآية المباركة حينما نزل قوله تبارك وتعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ وعندما تلى النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية أمام أصحابه.

قالوا: يا رسول الله: أي بيت هذه التي إذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه؟ قال ﷺ: **بيوت الأنبياء والأوصياء.**

- فقال أحد الصحابة: يا رسول الله وبيت عليّ وفاطمة منها؟

فقال ﷺ: **بل من أفاضلها**، وهذا صريح أن بيت علي وفاطمة أفضل البيوت من بيوت الأنبياء والمرسلين، وهذا التعبير لا يقصد به الطابوق والحجر والطين بل بما احتواه ذلك البيت عليهم السلام.

٢- كذلك ما ورد عن الزهراء عليها السلام:

أن رسول الله ﷺ قال: «**لو لم يخلق علي بن أبي طالب لم يكن لفاطمه كفؤ آدم فما دونه**».

إذن لا يوجد من يكافىء فاطمة الزهراء عليها السلام في مكانتها وفضلها ومناقبها إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام عن جميع البشر.

٣- أما فضيلته على الملائكة فهذا أيضاً أمر واضح لأن أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي علّم الملائكة، وهناك روايات كثيرة تدل على فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه وعظمته على جميع الأنبياء السابقين لذلك يحقّ أن يقول: «**جعل الله لي ما لم يجعل لأحد من الأولين والآخرين لا نبي مرسل ولا ملك مقرّب**» بالإضافة إلى أن النبي إبراهيم عليه السلام لم يصل إلى مرتبة الإمامة إلاّ بعد ما كان نبياً ثم رسولاً ثم خليلاً ثم بعد ذلك وصل إلى مرتبة الإمامة قوله تعالى في سورة البقرة:١٢٤، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا

يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إذن مقام الإمامة هو أعلى مراتب الأنبياء وهو نفسه هو أدنى مراتب المعصومين عليهم السلام وقد سبق إنّ ذكرنا قول الإمام الرضا عليه السلام في كتاب الكافي عندما يبين لنا عدم الوصول إلى كُنه وحقيقة الإمام المعصوم عليه السلام في قوله عليه السلام: «**إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلا مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم...**».

إلى أن قال: «**ضلّت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، .... إلى أن قال: ... وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره**».

إذن ثبت عندنا أن أمير المؤمنين عليه السلام هو أعظم الأنبياء والمرسلين بل هو أعظم البشر ما عدا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يمكن أن نفهم أن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه صرح عليه السلام وقال: «**أنا عبد من عبيد محمد**».

كذلك إن الله سبحانه وتعالى قرن رسوله بأمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً آية المباهلة ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ لأنهم نور واحد ونفس واحدة، كذلك حديث المعرفة بالنورانية قال صلى الله عليه وآله: «**أنا محمد ومحمد أنا**» أي مقامنا ومراتبنا عند الله مرتبة واحدة في حقيقتنا حقيقة واحدة وإنما رسول الله صلى الله عليه وآله كان له الأفضل بالأسبقية وكان له الفضل بأنه النور الصادر الأول ومنه صدر أمير المؤمنين عليه السلام.

قراءة سريعة للحديث المعرفة بالنورانية

سيكون كلامنا على مرحلتين:

- **المرحلة الأولى:** قراءة سريعة للحديث.
- **المرحلة الثانية:** القراءة التدبرية التأملية في بعض فقرات هذا الحديث.

المرحلة الأولى: القراءة السريعة:

عن محمد بن صدقة أنه قال: سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي رضي الله عنهما يا أبا عبدالله ما معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية؟ قال: يا جندب فامض بنا حتى نسأله عن ذلك، قال: فأتيناه فلم نجده.

قال: فانتظرناه حتى جاء قال صلوات الله عليه: ما جاء بكما؟ قالا: جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية، قال صلوات الله عليه: مرحبا بكما من وليين متعاهدين لدينه لستما بمقصرين، لعمري أن ذلك الواجب على كل مؤمن ومؤمنة.

ثم قال صلوات الله عليه: يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: إنّه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه

للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب.

يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزّ وجل ومعرفة الله عزّ وجل معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1].

يقول: ما أمروا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وهو الدين الحنيفية المحمدية السمحة، وقوله: «يقيمون الصلاة» فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة، وإقامة ولايتي صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فالملك إذا لم يكن مقرباً لم يحتمله، والنبي إذا لم يكن مرسلاً لم يحتمله، والمؤمن إذا لم يكن ممتحناً لم يحتمله، قلت: يا أمير المؤمنين من المؤمن وما نهايته وما حده حتى أعرفه؟

قال عليه السلام: يا أبا عبد الله قلت: لبيك يا أخا رسول الله، قال: المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه شيء إلا شرح صدره لقبوله ولم يشك ولم يرتب (في نسخة لم يرتد).

---

(١) سورة البينة: آية ٥.

اعلم يا أبا ذر أنا عبد الله عزّ وجل وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله عزّ وجل قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم، أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون.

قال سلمان: قلت يا أخا رسول الله ومن أقام الصلاة أقام ولايتك؟ قال: نعم يا سلمان تصديق ذلك قوله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[1].

فالصبر رسول الله ﷺ والصلاة إقامة ولايتي، فمنها قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾، ولم يقل: وإنهما لكبيرة، لأن الولاية كبيرة حملها إلا على الخاشعين، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون، وذلك لأن أهل الأقاويل من المرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم من الناصبية يقرون لمحمد ﷺ ليس بينهم خلاف وهم مختلفون في ولايتي منكرون لذلك جاحدون بها إلا القليل.

وهم الذين وصفهم الله في كتابه العزيز فقال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾، وقال الله تعالى في موضع آخر في كتابه العزيز في نبوة محمد ﷺ وفي ولايتي فقال عزّ وجل: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[2]، فالقصر محمد والبئر المعطلة ولايتي عطلوها

(١) سورة البقرة: آية ٤٥.
(٢) سورة الحج: آية ٤٥.

وجحدوها، ومن لم يقر بولايتي لم ينفعه الإقرار بنبوة محمد ﷺ ألا إنهما مقرونان.

وذلك أن النبي ﷺ نبي مرسل وهو إمام الخلق، وعلي من بعده إمام الخلق ووصي محمد ﷺ، كما قال له النبي ﷺ: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» وأولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد، فمن استكمل معرفتي فهو على الدين القيم كما قال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[1] وسأبين ذلك بعون الله وتوفيقه.

يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.

قال: كنت أنا ومحمد نوراً واحداً من نور الله عزّ وجل، فأمر الله تبارك وتعالى ذلك النور أن يشق فقال للنصف: كن محمداً وقال للنصف: كن علياً، فمنها قال رسول الله ﷺ: «**علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا علي**».

وقد وجه أبا بكر ببراءة إلى مكة فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد، قال: لبيك، قال: إن الله يأمرك أن تؤديها أنت أو رجل عنك، فوجهني في استرداد أبي بكر فرددته فوجد في نفسه وقال: يا رسول الله أنزل في القرآن؟ قال: لا ولكن لا يؤدي إلا أنا أو علي.

---

(١) سورة البينة: آية ٥.

يـا سلمان ويـا جندب قالا: لبيـك يا أخا رسـول الله، قال عليه السلام: مـن لا يصلح لحمل صحيفـة يؤديها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كيف يصلح للإمامة؟

يـا سلمان ويا جنـدب فأنا ورسول الله صلى الله عليه وآله، كنا نـوراً واحداً صار رسـول الله صلى الله عليه وآله محمد المصطفى، وصرت أنا وصيه المرتضى، وصار محمـد الناطـق، وصرت أنـا الصامت، وإنه لا بد فـي كل عصر من الإعصـار أن يكون فيه ناطق وصامت، يـا سلمان صار محمد المنذر وصـرت أنا الهـادي، وذلك قوله عزّ وجـل: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1] فرسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وأنا الهادي.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَـالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[2].

قـال: فضرب عليه السلام بيده على الأخـرى وقال: صار محمد صاحب الجمع وصرت أنا صاحب النشر، وصار محمد صاحب الجنة وصرت

---

(١) سورة الرعد: آية ٧.

(٢) سورة الرعد: آية ٨-١١.

أنـا صاحب النار، أقول لها: خذي هذا وذري هذا، وصار محمد ﷺ صاحب الرجفة وصرت أنا صاحب الهدة، أنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمني الله عزّ وجل علم ما فيه.

ثم قال عليه السلام: «نعم يا سلمان ويا جندب وصار محمد» ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[1]، وصار محمد ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾[2]، وصار محمد ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[3]، وصار محمد صاحب الـدلالات، وصرت أنا صاحب المعجـزات والآيات، وصار محمد خاتم النبيين، وصرت أنا خاتم الوصيين.

وأنـا ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[4] وأنـا ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾[5] ولا أحـد اختلـف إلا فـي ولايتـي، وصار محمـد صاحب الدعـوة وصرت أنا صاحب السيف، وصار محمد نبياً مرسلاً وصرت أنا صاحب أمر النبي ﷺ، قال الله عزّ وجل: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾[6].

وهـو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الـروح إلا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب، فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس وفوض إليه القدرة وأحيى الموتى وعلم بما كان وما يكون وسار

---

(١) سورة يس: آية ١.
(٢) سورة القلم: آية ١.
(٣) سورة طه: آية ١.
(٤) سورة الفاتحة: آية ٦.
(٥) سورة النبأ: آية ١.
(٦) سورة المؤمن: آية ١٥.

من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين، وعلم ما في الضمائر والقلوب وعلم ما في السموات والأرض.

يا سلمان ويا جندب وصار محمد اذكر الذي قال الله عزّ وجل: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾[1].

إني أعطيت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، واستودعت علم القرآن وما هو كائن إلى يوم القيامة، ومحمد ﷺ أقام الحجة حجة للناس، وصرت أنا حجة الله عزّ وجل، جعل الله لي ما لم يجعل لأحد من الأولين والآخرين لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب.

يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي، وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست أشجارها بإذن ربي.

وأنا عذاب يوم الظلة، وأنا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان: الجن والإنس وفهمه قوم.

وإني لاسمع كل قوم: الجبارين والمنافقين بلغاتهم، وأنا الخضر عالم موسى، وأنا معلم سليمان بن داود، وأنا ذو القرنين، أنا قدرة الله عزّ وجل.

---

(١) سورة الطلاق: آية ١٠-١١.

يـا سلمـان ويـا جندب أنـا محمد ومحمـد أنـا، وأنا مـن محمد ومحمـد مني، قال الله تعـالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[1].

يـا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إن ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإن قتلانا لن يقتلوا.

يا سلمان ويا جندب قالا: لبّيك صلوات الله عليك، قال عليه السلام: أنا أمير كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى وممن بقي، وأيدت بروح العظمة، وإنمـا أنا عبد مـن عبيد الله لا تسمونـا أرباباً وقولوا فـي فضلنا ما شئتـم فإنكـم لن تبلغوا مـن فضلنا كنه ما جعله الله لنـا، ولا معشار العشر.

لأنـا آيات الله ودلائله، وحجج الله وخلفـاؤه وأمناؤه وأئمته، ووجه الله وعـين الله ولسـان الله، بنا يعذب الله عبـاده وبنا يثيب ومن بين خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا، ولو قال قائل: لم وكيف وفيم؟ لكفر وأشرك، لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

يـا سلمـان ويا جنـدب قالا: لبيـك يا أمـير المؤمنـين صلوات الله عليـك، قـال عليه السلام: مـن آمـن بما قلـت وصدق بمـا بينـت وفسرت وشرحـت وأوضحت ونورت وبرهنت فهو مؤمـن ممتحن امتحن الله

(١) سورة الرحمن: آية ١٩-٢٠

قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وهو عارف مستبصر قد انتهى وبلغ وكمل، ومن شك وعند وجحد ووقف وتحيّر وارتاب فهو مقصر وناصب.

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: أنا أحيي وأميت بإذن ربي، أنا أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربي، وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا لأنا كلنا واحد، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد، فلا تفرقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله، الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا، وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزّ وجل ومشيته فينا.

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كله قلنا: يا أمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظم وأجل من هذا كله؟ قال: قد أعطانا ربنا عزّ وجل علمنا للاسم الأعظم الذي لو شئنا خرقت السماوات والأرض والجنة والنار ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونغرب ونشرق وننتهي به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عزّ وجل ويطيعنا كل شيء حتى السماوات

والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والجنة والنار، أعطانا الله ذلك كله بالاسم الأعظم الذي علمنا وخصنا به، ومع هذا كله نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا ونحن عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وجعلنا معصومين مطهرين وفضلنا على كثير من عباده المؤمنين، فنحن نقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وحقت كلمة العذاب على الكافرين، أعني الجاحدين بكل ما أعطانا الله من الفضل والإحسان.

يا سلمان ويا جندب فهذا معرفتي بالنورانية فتمسك بها راشداً فإنه لا يبلغ أحد من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانية فإذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد خاض بحراً من العلم، وارتقى درجه من الفضل، واطلع على سر من سر الله، ومكنون خزائنه[1].

(١) كتاب صحيفة الأبرار، المجلد الأول، ص١٣٠-١٣٤.

- المرحلة الثانية: القراءة التدبرية التأملية لشرح العلامة المامقاني على بعض عبارات الحديث:

قوله عليه السلام في: «أنا حملت نوح في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت موسى ابن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي وأنا الذي أجريت انهارها وفجرت عيونها وغرست أشجارها بإذن ربي».

وهذا فيه إشكال كما يراه البعض

- كلامه على مساعدته للأنبياء نوح ويونس وموسى وإبراهيم عليهم السلام من القضايا غير المحرزة لا يمكن إثباته بل هو مخالف للبيانات القرآنية والشواهد المعصومية.

المستشكل يقول: كيف يمكن أن يتعقل أن أمير المؤمنين علي عليه السلام والمولود في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان حمل نوح في السفينة وأخرج يونس من بطن الحوت وجاوز بموسى وهو أصلاً لم يكن مولوداً؟ فكيف يمكن قبول مثل هذه العبارة؟

الجواب:

أولاً: ولادة أمير المؤمنين عليه السلام صحيح كانت الثالث عشر من

شهر رجب الأصب في السنة الثلاثين بعد عام الفيل ولكن هذه ولادة ظاهرية، نعم وجد الإمام ظاهراً في جسده الشريف في هذا التاريخ لكن نحن نتكلم والإمام يتكلم عن هذا الحديث في ولادة أخرى وهي الولادة النورانية.

(وجوده النوراني) هذا الوجود وهذه الولادة سبقت البشرية.

يقول النبي صلى الله عليه وآله: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» كذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**كنت صبياً وآدم بين الماء والطين**» وهناك الكثير من الروايات التي قد يطول المجال في ذكرها «**خلقنا الله عزّ وجل قبل أن يوجد الخلق بإثنى عشر ألف عام، وبعضها أقل وبعضها أكثر**».

وحينما سأل جابر نبينا محمد صلى الله عليه وآله: عن أول موجود قال صلى الله عليه وآله: «**أول موجود أو أول مخلوق هو نور نبيك يا جابر**» وغيرها الكثير من الروايات وردت بهذا المضمون وأنهم عليهم السلام هم الذي علموا الملائكة التسبيح والتقديس و.....

- فالكلام عن هذا الحديث ليست عن الولادة الظاهرية وإنما الكلام عن الولادة النورانية عن وجودهم وعن هيمنتهم ولهذا قال النبي في هذا المجال: «**يا علي نصر الله بك الأنبياء سراً ونصرني بك جهراً**»، لا يوجد مانع أن يرسله الله من عالم الغيب حتى ينصر الأنبياء السابقين عليهم السلام هذا **أولاً**.

ثانياً: هذا الأمر وهذا المضمون لو قلنا أنه موكل إلى الملائكة وقلنا بـأن حمل نوح فـي السفينة كان موكلاً للملك الفـلاني أو أن إخراج يونس من بطن الحوت كان موكلاً للملك الفلاني أو. أو

هذا لعل البعض يراه أمر طبيعي، نعم الملائكة يستطيعون ولكن من هو أعظم من الملائكة ومن هو معلم الملائكة لا يمكنه ذلك؟ هذه إذن قسمـة ضيزا، أمير المؤمنين عليه السلام أعظم شأناً من الملائكة وهو عند الله معلـم الملائكة ولا يتحرك ملـك ولا يؤمر ملك بأمر إلاّ من خلال مشيئة الله عزّ وجل. ومشيئة الله هم محمد وآل محمد (صلوات).

إذاً لا غرابة في أن يدّعي أمامنا أمير المؤمنين عليه السلام أنه هو بفعل هـذه الأمور. ولو تنزلنـا وقلنا لا يمكن هذا الأمر إذن نأتي إلى جواب مـن الأجوبة التي ذكرها المجلسي فـي تعليقه على هذه العبارة حيث قال: لاحتمـال أن يكون المراد به وبأمثاله أن الأنبياء عليهم السلام بالاستشفاع بنا والتوسل بأنوارنا رفعت عنهم المكاره والفتن كما دلت عليه الأخبار الصحية التي وردت عنهم عليهم السلام.

ولـو لم نقول بأن أمـير المؤمنين عليه السلام هو الذي واقعـاً نجّا نوح أو أخرج يونـس إذن تتنزل ونقول: لا نجاتهم كانت بفضل التوسل بأهل البيت عليهم السلام وهذا أمر أيضاً.

وردت فيه الأخبار بكثرة وتضافرت فيه النصوص من آدم إلى نبينا ﷺ قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ الروايات تقول: عند السنة وعند الشيعة أنه قال: «**إلهي يا حميد بحق محمد ويا عالي بحق عليّ ويا فاطر بحق فاطمة ويا محسن بحق الحسن ويا قديم الإحسان بحق الحسين لما غفرت لي**»، فغفر الله له بتوسله بأهل البيت ﷺ كذلك الكلام في نوح وموسى وعيسى وغيرهم من جميع الأنبياء والمرسلين نجاتهم كانت بتوسلهم بأهل البيت ﷺ لذلك قال الشاعر: (وإذا الرجال توسلوا بوسيلة، فوسيلتي حبي لآل محمد) صلوات الله عليهم أجمعين.

الآن نذكر ما قاله الشيخ في كتاب أضواء على حديث النورانية ص ١٣٥.

أما قوله عليه السلام: «**أتقلب في الصور كيف أشاء**».

إن الأخبار تواترت في أن الله تعالى خلق محمداً وآل محمد وخلق من أشعة أنوارهم وفاضل طينتهم الأنبياء وسائر الخلق، وهذا أيضاً ممّا لا ينكر، فإذا أردنا تصوير ذلك بالتمثيل الشهودي كان نورهم ﷺ كقرص الشمس وسائر الخلق من الأنبياء وغيرهم كالأشعة الواقعة منها في المرايا المقابلة لذلك القرص، فإنّها كلها أثر الشمس لا ذاتها، فإن ذاتها في الفلك الرابع، ولم تنزل إلى الأرض، ولا ريب

فـي أن الأشعة المرآتيـة تختلف بحسب اختلاف المرايـا في الصفاء والكـدورة والإعوجاج والإستقامة، وهي مثال اختلاف قابليات الخلق فـي قبول الوجـود من منيرهم، فكلما كان مـن المرايا قابليته أصفى وأقـوم كان الشعـاع الواقع فيه بالشمس أشبـه، وكلما كان أعوج كان بعيـداً عن الشبه ولا يحكم عليه أنه صورة الشمس لبطلان المشابهة، بسبـب شدة الإعوجاج، فيرمى خارج العـالم وهو مثال المدبرين عن مبدأ الحق والأول مثال المقبلين كل على حسب قابليته، ولما كان الأنبياء عليهم السلام أقـرب الخلق إلى مبدأ النور لصفـاء قابلياتهم الذاتية نوعاً وإن اختلـف أفرادهم أيضا في الشدة والضعف، كانوا أشبه الخلق بأنوار محمد وآلـه (صلوات الله عليهم أجمعين) وأشد تعلقاً بهم من سائر الخلق نوعاً.

وإذ تقـرر هذا، فارجع إلى مثالنـا المفروض وسمّ كلاً من الأشباح الشعاعيـة الواقعـة في المرايـا المستقيمة الصافيـة الشبيهة بقرص الشمس باسم، وليكن أحدها (أ) والآخر (ب) وآخر (ج) وآخر (د) وهكـذا ومن السين أنه يصح للشمس أن تقـول أنا (أ)، أنا (ب)، أنا (ج)، أنـا (د)، وتريد بها الصـور الشبيهة بها، وكذا تقول من رآهم فقـد رآني، ومـن رآني فقد رآهـم، وأنا الذي أتقلب فـي تلك الصور كيف أشـاء، وذلك لأنّها كلها صادرة عـن إشراقها، وقائمة بها قيام

صـدور فالصور صورهـا وهي أولى بها منها نفسهـا، لأن المنير أولى بالشعاع من نفس الشعاع، لأنّ له الولاية عليها.

هـذا مع أن الشمس في ذاتها منزهة عن الشوب بالصور، بمعنى أنهـا لم تحلـل فيها، فيقال هي فيها كائنـة، ولم تنأ عنها فيقال هي منهـا بائنـة، فكما تصح هذه الأمـور في الشمس، كذلك تصح في ولي الله المطلـق الذي خلق الأنبياء من رشحات وجـوده وأشعة نوره، أن يقـول، أنا آدم، أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا موسى، أنا عيسى، أنا ذو القرنين، وهكذا أتقلب في الصور كيف أشاء من رآني فقد رآهم ومن رآهم فقد رآني.

وأما قوله عليه السلام: ولو ظهرت للناس في صورة واحدة .. الخ، فيريد عليه السلام أني لـو ظهرت في عالم الشهادة بنفس الصورة من أول الأمر إلى آخـر الدهر ودعـوت الخلق إلى الله بنفس، لقيـل هو لا يزول ولا يتغير لقصـور عقولهم وضعف أفهامهم، فاقتضـت الحكمة أن أقف بنفس فـي عالم الغيب فـي أول الأمر وأودع دعـوة الله عزّ وجل في كل عهـد فـي هيكل من هياكل النبـوة وأظهرها منها فتـارة في آدم وأخـرى في نوح، وهكذا ومع ذلك فأنا المهيمن على الكل وهم حجبي وأمثالي وأبدالي وإنما صاروا أنبياء مبعوثين لمشابهتهم لي في الصور الوجودية التي هي هيكل التوحيد المخطط بخطوط الإنسانية التي هي

أعدل الهياكل وأحسنها تقويماً فصار أمرهم أمري وحكمهم حكمي ورؤيتهم رؤيتي[1].

ومنها: قوله عليه السلام: «أنا أحيي وأُميت» فهو يحتمل معنيين كلاهما صحيحان،

أحدهما: أن يراد به إنّي قادر على الإحياء والإماتة إذا شئت، وهذا المعنى ممّا لا يرتاب فيه مسلم، لأنه من لوازم مقام النبوة والولاية، لكونه من جملة المعجزات وصدوره عنهم غير عزيز وكتاب الله العزيز ناطق به،

وثانيهما: أن يراد به أنّ أمر الإحياء والإماتة إليَّ بالكلية، وهذا أيضاً ممّا لا ينبغي أن يتوقف فيه شيعي، لأنّه مركب من قول ملكين إسرافيل وعزرائيل، فكما يصح لإسرافيل أن يقول أنا أحيي النفوس ولعزرائيل أن يقول: أنا أُميتها، ولا يلزم منه أن يكونا إلهين من دون

(١) أما السيد محمد كاظم الحسيني الرشتي يقول في الرسالة الحملية: وأما قوله عليه السلام «أنتقل في الصور كيف أشاء» فمعناه أن الله سبحانه وتعالى خلقه قبل الخلق وقبل العرش والكرسي والملائكة والجن والإنس وكل شيء حادث كما دلت عليه الروايات المتكثرة المستفيضة بل المتواترة فكان يظهر عليه السلام في كل وقت أراد لمصلحة من المصالح حسب ما أراد الله بصورة من الصور، كما ظهر عليه السلام لموسى وهارون وفرعون لما أراد أن يقتلهما فرعون ظهر عليه السلام لموسى وهارون وفرعون بصورة فارس عليه لباس الذهب وسرج فرسه من ذهب وبيده رمح من ذهب وأشار عليه السلام إلى فرعون إن هممت بقتلهما لأقتلنك قبل أن تأمر بهما، وظهر عليه السلام وقت نوح ومنع ذلك الجني أن يغرق سفينة نوح عليه السلام، وظهر لجبرئيل عليه السلام وعلمه ربه واسمه واسم خالقه، وظهر لسمان الفارسي وخلصه من السبع، وهكذا في أطوار ظهوراته عليه السلام كما هو المعلوم المذكور في الأخبار وذكر علماؤنا الأخيار.

الله لأنهما حاملان أمر الله وليس لهما استقلال في ذلك، كذلك يصح لمن جعل الله الملائكة خدامه وعبيده لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون أن يقول مثل ذلك وينسب هذه الأفعال إلى نفسه بالطريق الأولى، لأنّه الواسطة الكبرى في ذلك، جعل الله قلبه وعاءً لمشيئته ومهبطاً لإرادته، به يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وراجع في تحقيق ذلك إلى ما قدمناه في العناوين ولا تلجئنا إلى التكرار، فليت شعري ما وجه التحير في أمثاله في هذه الأخبار وتأويلها بما تضحك منه الثكلى كقول بعض المحدّثين بعد ذكر الخبر ما هذا لفظه:

قوله عليه السلام: أنا الذي حملت نوحاً ...إلى آخره.

أقول: لو صح صدور الخبر عنه عليه السلام لاحتمل أن يكون المراد به وبأمثاله: أن الأنبياء بالاستشفاع بنا والتوسل بأنوارنا رفعت عنهم المكاره والفتن، كما دلت عليه الأخبار الصحيحة الصريحة.

فانظر إلى هذا المحدّث الفاضل وإخراجه الكلام عن ظاهره بالكلية بعد التردد في أصل الخبر من غير داع يدعوه إليه، ولعمري إنّه ممّن يروي في كتابه أخباراً صحيحة متواترة في أنّهم عليهم السلام خلقوا قبل خلق الخلق دهوراً لا يعلم إحصاءها إلاّ الله وأنهم كانوا في عالم الأنوار موجودين حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا آدم ولا حواء.

لقبيح غاية القباحة، عصمنا الله وإخواننا من الخطأ والخطل، وإنّما نشأت هذه الأُمور من الغفلة عن ميزان تصحيح الأخبار الذي قدمناه في صدر الكتاب، يا سبحان الله، إنه الذي يعلّم الملائكة التسبيح والتقديس في ابتداء خلقهم كما نقل هو نفسه بذلك أخباراً مسلّمة متواترة معنىً لِمَ لا يجوز أن يحمل نوحاً في السفينة ويخرج يونس من بطن الحوت وما الذي أقدره عليه، ثم أعجزه عن ذلك مات أو هلك في أي واد سلك؟ صدق ولي الله، وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
-المقدمة	٥
-معرفة معنى الإمامة	٩
-من هو الإمام؟	١٠
- أهمية البحث في موضوع المعرفة النورانية	١١
- المقدمة الأولى	١١
- المقدمة الثانية	١٣
- المقدمة الثالثة	١٣
- المقدمة الرابعة	١٤
- المقدمة الخامسة	١٤
- ثلاث طرق رئيسية لمعرفة أهل البيت عليهم السلام	١٤
١- المعرفة الظاهرية	١٥
٢- المعرفة الغيبية	١٦
٣- المعرفة بالنورانية	١٦
- ثلاثة أنواع من المعرفة للإمام	١٨
- إثبات أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الملائكة ما خلا رسول الله صلى الله عليه وآله	١٩
- قراءة سريعة للحديث المعرفة بالنورانية	٢٢
- المرحلة الأولى: القراءة السريعة	٢٢
- المرحلة الثانية: القراءة التدبرية التأملية لشرح العلامة المامقاني على بعض عبارات الحديث	٣٢

أضواء على

حديث المعرفة بالنورانية